**جون لوك وميلاد الليبرالية الغربية**

يعد جون لوك فيلسوف وطبيب انكليزي كما ويلقب بأب الليبرالية الكلاسيكية، ويعتبر من المفكرين الاكثر تأثيراً في عصره فقد ساهمت كتاباته في تطوير مجالات الفلسفة السياسية والمعرفة والتعليم وقد اثر بشكل كبير في العديد من المفكرين مثل فولتير وروسو، كما أنه شغل عدة مسؤوليات ومناصب مما ساعد على تشكيل افكاره السياسية، ويعرف عن لوك إنه سافر الى فرنسا ثم رجع الى انكلترا وبعد ذلك اضطر ان يهاجر الى هولندا بفعل الاضطرابات السياسية آنذاك وكان بوقتها قد اشتبه بتورطه في هذه الاضطرابات.

ولقد الف لوك في ذلك الوقت اهم مؤلفاته لاسيما (رسالة في التسامح الديني) و (مقالة في العقل الإنساني)، مما اصبحت افكار لوك مصدراً رئيساً للفلسفة التجريبية، كونه يعتقد أن الإنسان عند الولادة يكون عقله أشبه بالورقة الفارغة التي تمتلأ بمرور الوقت بالخبرة الإنسانية، وهذا يعني أن الخبرة الإنسانية هي الكفيلة بتأسيس المعرفة وعن طريق مدركاتنا الحسية، وهذا يعني أن المعارف عند لوك تتحق عن طريق التجربة وليس من العقل.

ينبغي القول أن تأثير لوك في الفكر الغربي وخصوصاً نظرياته المتعلقة بالفصل بين الكنيسة والدولة والحرية الدينية والحرية بشكل عام لم تؤثر فقط على المفكرين الأوربيين وإنما أيضاً شكلت نواة أساسية لتفكير مؤسسي الولايات المتحدة الأمريكية من هاملتون الى توماس جيفرسون.

**حالة الطبيعة عند لوك**

يختلف لوك عن توماس هوبز في تفسيره لحالة الطبيعة الإنسانية، فالهدف الذي يبغيه لوك عندما يتحول المجتمع بواسطة العقد الإجتماعي هو الوصول إلى الحرية في حين نجد توماس هوبز ينتهي الى نوع من الحكم المطلق، فتوماس هوبز يرى بأن طبيعة المجتمع يحكمها صراع أو أنها في حالة حرب، فالإنسان يخاف من الإنسان الآخر ومبدأ الرغبة هو المسيطر ومادام مبدأ الرغبة هو من يحكم كل فرد فإن ذلك سيؤدي غياب العدالة في المجتمع لأن كل فرد لا يهمه الفرد الآخر فالفرد يجب عليه أن يحافظ على أمنه الخاص وهذا يؤدي إلى المنافسة ما بين الأفراد وتكون النتيجة المترتبة على ذلك هي الحرب، ولذلك يرى هوبز إن الإنتقال من هذه الحالة تنتهي إلى حالة الإستسلام يأخذ صورة عقد إجتماعي يقود إلى نوع من الحكم المطلق.

في حين نجد جون لوك عكس مايرمي إليه توماس هوبز، فلوك يرى أن الحالة الطبيعية هي حالة سلام تنتهي عن طريق العقد الإجتماعي الى اتفاق محدود ومشروط قابل أن يقود الى الحرية، فحالة الطبيعية عند لوك يرى بأنها حالة المخلوقات التي لم تعرف بعد المجتمع المدني.

والآن كيف يصور لوك الإنتقال من حالة المجتمع الطبيعية إلى حالة المجتمع المدني؟

يصور لوك ذلك عبر **العقد الإجتماعي**

يرى لوك أن حالة السلام بواقعها لم تستمر فالتطور الإقتصادي في حالة الطبيعة يرافقه تعقيد العلاقات الإجتماعية ويؤدي ذلك الى غياب العدالة، ويرى لوك أن التقدم الإقتصادي يرجع إلى استعمال العملة، كون الإنسان في حالة الطبيعية السابقة على استعمال العملة لا يمكن له الإحتفاظ أو احتكار الأشياء بما يزيد عن حاجته الإستهلاكية من السلع التي تفسد بوقت قصير، ولكن ظهور العملة حفزت الإنسان الى تملك اموالا تفوق حاجته مما خلق فجوة طبقية بين المجتمع وانعدمت المساواة مما أدرى الى الفرقة والشقاق بين الأفراد وعندها غاب الأمن، وهناك عامل اخر أدى الى تعقيد المجتمع، هذا العامل هو اصبح كل شخص قاض لنفسه يعاقب المسيء بحقه وهذا يعني أنه يكون في الغالب تماد من أجل اخذ الحق. ولذلك يمكن القول إن مثل هكذا عدالة خاصة تؤدي الى غياب الأمن وانعدام السلام، مما اضطر بالإنسان بضرورة وضع حد للعدالة الخاصة .

ولتحقيق ذلك لجأ الإنسان الى ثلاثة اشياء:

اولاً قانون وضعي واضح، ثانياً قاض محايد لتطبيق هذا القانون، ثالثاً قوة جماعية قادرة على فرض احترام الحكم الصادر عن القاضي . وكل هذا لا يلغي حق الإنسان في حماية حياته وحرية وامواله.

ولتحقيق هذه الغاية اقام الأفراد علاقة تعاقدية وشكلوا الجماعة الإنسانية الناشئة عن هذا العقد والتي هي الدولة.